أربع حركات في سيرة ذاتية

شعر مصطفى خضر

- ١ -

كنتِ طالعة كاليمامة في الحلم والحزن ،
تنتفضين ، وجسمك مملكة ،
يعبر العاشق المتحول نحو سريرك ،
يؤتي زكاته في ظل نخلتك الآدمية ،
يروي عن الوجه والصوت والطلعة الكوكبية ،
طالعة كنت في ضحكات المساء ، وفي خاتم الحب...
والعاشق المتجول ما بين فصل وآخر ،
يلبسك الآن ؟
كيف ترينه ؟
بين دوام وآخر ، طفل وآخر تحترقين !
ويحترق الذكر المتنقل بين دوام وآخر ، طفل وآخر،
يبتدىء الهم في أول اليوم أو آخر اليوم :
(ــ ماذا سنأكل ؟
ــ هذا الدوام المسائي مر ،
وداء المفاصل صعب ...)
كنتِ طالعة في البرية مثل خروف ،
غداة تتابعت الطلقات
أي صاعقة أقبلت ، وأضاءت كوى ومداخل ،
أي عدو سينقرض ! اعترفي !
كان رأسي ثقيلا ، ورأسكِ كان ثقيلا ...
ولم أدرِ أي خطى عبرت فوق رأسي وصدري ،
تفجّرت من داخلي كنواة !

* * *

كنتِ في الهجرة الدائمه
يتنقل وجهك ، صوتك ، جسمك ،
في الهجرة الدائمه !

- ٢ -

ماذا رأينا ؟
خنجر أم وردة في ظل شاهدة ،
وصاعقة تخضّ مدافن الاحياء والموتى ،
وتعبر وجه أنثى ، وجه طفل ...
تغمر القمر المضرّج ...
نخلة الليل الغريب تنوء بالثمر الغريب
وتقبل العربات من شرق وغرب ،
تحمل الغرباء والشهداء ، تقبل ، ثم تقبل ، ثم تنأى.
وتسرّحين الماء والايتام واللغة الحزينه
ويقال : بذرة من تحلّ الآن فيكِ ،
وأي صاعقة دفينه
تلد النبوءة !
(فاصل بعد الاضاءة ،
فاصل للحلم ، أو للحب ...)
تنتظرين ، ترتفع الستارة :
كان جلد الليل والجمهور ينتظران ،
كان المسرح المحشوّ بالسمك المعلب والعيون المستكينه
تتداخل الخطوات فيه ، وكانت الادوار ملأى ..
والمهرّج يخرج المدن السبية ، والاقاليم العصية
من لسانه !
يرتدي الكفن المزيف ، حاملا رأسي الغريب ،
وحاملا لحم القبيلة !
أي أوراق تهرّ ، وأي أصوات ستنأى !
تتداخل الخطوات فيه ...
تتداخل الاقدام والخطوات والحركات بين يديه
راضية ، أمينه ...
ويهرّ من أكمامه التجار من فصل لآخر ،
باللباس الآدمي
ويهرّ وجهي بعد وجهك ، بعد وجهي ،
الحلم يختلط ، القريب مع البعيد
(للصمت أو للموت فاصلة ،
وللتجار أجنحة ...)
وتنتظرين في ليل المدينه
ماذا ترين ؟
أتعبرين رماد أصوات المدينه
أم تعبرين الصالة العمياء ،
بين المسرح المهجور والجمهور : تحترق المدينه !
وتدق ساعة عصرك الشعبي :
أي سلالة تمتد ، ترتعد !
احتفالات اغتصاب العالم الدوري تبتدىء العشية !
تقبلين وأنت ترتعدين في شجر الحواس ،
يشدّك الفتك الجماعي الملوث ،
بين ليل الصالة المذعور والجمهور ،
بين المسرح المحشوّ بالصرخات والقبلات ،
ترتعدين ، تقبل في خطاك عيون من جاعوا ومن ضاعوا،
وترتعدين أم تتشكلين الآن من ماء وطين

تسقط الايام في نهر الاخوّة ،
بطنك العريان منتفخ تراه ، وتحلمين ـ
فهل يرونه ، أو أراه ولا يرونه ؟
تركضين ويركض البطن الذي ما كان منتفخا ،
وأدخل في انتظاري وانتظارك ،
تحت ليل التين والزيتون والبلد الامين !

* * *

في صالة العرض المليئة :
أي أزياء لبطن الامة الحبلى ترين ؟
وأي طلقات لصيد الماء والعصفور ...
أشياء وأسماء لوجه الامة الحبلى ...
تبارك وجهك الابويّ ، نخلتك المسنّة ،
والسلام لجوعك الابدي في دمك الدفين ،
وفي قبائلك الدفينة !

* * *

ماذا ترين ؟
زوجان ينتظران في ليل العيون
ماذا ؟ أتعبر نحوه أنثاه ، يعبر نحو أنثاه ،
ويتجهان نحو الارض ،
يبتدئان فاتحة التغير والسكينه
وتحلّ في الذكر الطعين بقية الانثى الطعينه
ـ خذها ، وخذ جسد الرماد
وخذ رماد خليّة منها ومنك ،
وخذ زمانك ،
وابتدىء فصل الجنون !

ـ ٣ ـ

كيف تمتلىء البذرة الباقيه
كيف تمتلىء البذرة ؟
اشتعلت قبلة في عيون الماء
ابتدأتِ تحلّين في وردة وجناح ...
ويطلع جسمكِ في ساعة الحبّ
ينبض بين يديّ فأنبض !
والزمن المتغير ما بين ليل وليل يودع أقماره السود ،
تدخل في الدم ، والدم يدخل في الجسد المستباح
ويحتفل الثدي ما بين طفل وآخر ،
تحتفلين بطفل وآخر ، ثم تفيضين :
أي السلالات تشتعل الآن بيني وبينك !
أصعد نحو بداياتها القبلية ،
أقتل من خارج ، وأعود لأقتل من داخلّ ،
أصعد الآن ، ثم أعود لأقتل ثانية ،
وأعود قريبا ، بعيدا ...

كيف تمتلىء المهرة الصعبة الحافيه
والحليب يفيض ، ونافورة العشب والحبّ ،
والاغنيات تجيء من الضفة النائيه
هو العرس يبتدىء الفرح العائلي ،
ويمتد بالخبز والقشدة الوطنية ،
والقبلات الكسيرة تضحك ،
تمتلىء البذرة الباقيه !

* * *

(كنت أحلم ما بين حين وآخر بالزوج والطفل ،
أضحك بعد الدوام ، وأرتبك :
ـ الآن ماذا ستأكل ؟
ـ هل تشرب الشاي ؟
ـ ماذا ستكتب ؟)

* * *

طالعة في الوجوه ! خذي ذكر الامس !
في نهر الشعب يقبل ، يغتسل !
اغتسلي فيه !
من كل زوجين متحدّين تفجرت : صاعقة وشهيدا !

ـ ٤ ـ

وتفجر الفقراء ، واحترقت سماؤك :
أي رائحة اشمّ ، وأي ميقات أراه !
يبوح بالعشب الحليب ،
ووجهك البدوي يفضحه الانين
ماذا رأيت ؟
هذا هو الصوت الذي لبى نداءك تلمسينه
(أتبايعينه ؟)
مدنا وتاريخا وأروقة دفينه !
هل كان أفخاذا معطلة ،
خرائط تستطيل ،
تضيق ،
تثمر بالرموز ،
غداة يعبره العدو يمد مقهورا جدائله ،
ومن منفى لآخر تحملينه !
بعد التحول والحنين
هذا هو الصوت ! اكتشفته فيك أو انكشف الحجاب الدائم :
احترقي اذن كرماد ثورتك المعلقة ...
احترقتِ
يفيض بالرعد الربيع
صبحا من الاطفال والحلم المسلح باليقين !

حمص — مصطفى خضر